مبنيين على أساس الرسل

ونحن نحتفل بعيد الآباء الرسل الأطهار نتذكر قول الكتاب: "وسور المدينة كان له اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الاثني عشر" (رؤ٢١: ١٤)، وقوله أيضاً: "وأساسات سور المدينة مزينة بكل حجر كريم. الأساس الأول يشب. الثاني ياقوت أزرق. الثالث عقيق أبيض. الرابع زمرد ذبابي. الخامس جزع عقيقي. السادس عقيق أحمر. السابع زبرجد. الثامن زمرد سلقي. التاسع ياقوت أصفر. العاشر عقيق أخضر. الحادي عشر أسمانجوني. الثاني عشر جمشت" (رؤ٢١: ١٩-٢٠). وعلى الرغم من أن هذا القول يوضح مدى الكرامة التي حظي بها الرسل إلا أن الأمر لا يقتصر على مجرد تكريمهم ولكنه يوضح ما هو أعمق من ذلك. ولو حاولنا أن نربط كل حجر كريم من الأحجار المذكورة بترتيبها بالرسل الاثني عشر بترتيبهم لفشلنا. والسبب في ذلك هو أن الكتاب المقدس أورد قائمة أسماء الرسل في أربعة مواضع مختلفة وهي متى ١٠، مرقس ٣، لوقا ٦، أعمال الرسل ١؛ وهذه القوائم الأربعة لا تحتوي على نفس ترتيب الآباء الرسل. إلا أن الأمر المشترك بين هذه القوائم هو أن الاسم الأول هو بطرس، والخامس فيلبس، والتاسع يعقوب بن حلفى. ولعل السر العجيب في ذلك هو ما استخلصه الدارسون عن كون تلك القوائم مقسمة لثلاثة مجموعات كل واحدة تحتوي على أربعة أسماء وتبدأ المجموعة الأولى بإسم بطرس، والثانية بإسم فيلبس، والثالثة بإسم يعقوب بن حلفى. أما ترتيب الأسماء داخل كل مجموعة فهو يختلف من قائمة لأخرى مع الأخذ في الاعتبار أن يهوذا الإسخريوطي قد استبدل في قائمة أعمال الرسل بمتياس.

وإن كنا نعلم أن الوحي الإلهي الدقيق لا يورد شيئاً في الكتاب المقدس بغير قصد فإن السؤال البديهي الذي يطرح نفسه هو لماذا قصد الوحي أن يبقى ارتباط اسم كل رسول بالحجر الكريم الذي يمثله غامضاً؟ بالطبع يحتوي الكتاب المقدس على أسرار كثيرة لكن الأمر المؤكد هو أن بولس الرسول الذي قال "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء" (أف٢: ٢٠) هو نفسه الذي قال: "فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وضع الذي هو يسوع المسيح" (١كو٣: ١١).

من الواضح إذاً أن أساسات المدينة الاثنا عشر الموضوع عليها أسماء الرسل الاثنا عشر والمزينة باثني عشر حجر كريم هي ليست جميعها إلا السيد المسيح نفسه الذي كان موضوع ومحور كرازة كل رسول. ومن الواضح أن تنوع ألوان الحجارة وطبيعتها يشير إلى تنوع الصورة التي تجلى بها السيد المسيح في حياة وخدمة كل رسول. فالمسيح واحد في الكل ولكنه يتصور في قلب كل واحد بصورة مختلفة.

الأمر العجيب أيضاً هو أن حجر اليشب الموضوع على الأساس الأول هو نفسه الحجر المصنوع منه سور المدينة (رؤ٢١:١٨). وإن كانت القوائم الأربعة للرسل تشترك في وضع اسم بطرس الرسول في البداية فمن الواضح أن الأساس الأول الذي ينبغي أن تبنى عليه الكنيسة بوجه عام وكل نفس بوجه خاص هو الإيمان الذي أعلنه بطرس بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحي. هذا الإيمان هو بآن واحد الأساس الأول والسور الذي يحوط المدينة ويحميها. كل عام وأنتم مبنيين على أساس الرسل الذي هو يسوع المسيح.